الإخلاص سبيل قبول الزّكوات

(خطبة الجمعة لفضيلة الشّيخ عبد الحق شطّاب – حفظه الله –

بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ – رحمه الله –

في اليوم 25 من المحرّم 1435هـ الموافق لـ 29 نوفمبر 2013م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِه الله فهو المُهتد، ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنّ مُحمّدًا عبدُه ورسوله،

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿01﴾ " سورة النّساء.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿102﴾ " سورة آل عمران.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿70﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا ﴿71﴾ "سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم –،

وشرّ الأمور مُحدثاتها، وكلّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ، أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

موضوع جمعتنا المباركة هذه:

الإخلاص سبيل قبول الزّكوات

معاشر الإخوة الكرام،

الإسلام دينٌ يطابق العقل والفطرة، ويتماشى معهما إلى الغاية النّبيلة الّتي هدى العقلاء إليها، ولذلك لا يمكن أن نجد في الإسلام ما يناقض العقل الصّريح والفطرة السّليمة.

ولّما كانت النّفوس مجبولةٌ على حبّ المال كما قال تعالى:

" **وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿20﴾** " **سورة الفجر.**

وقال جلّ في علاه:

" **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿14﴾** " **سورة آل عمران.**

فكان لا بدّ لهذه المحبّة من ضبطٍ حتّى لا يُعْبَدَ المال، وحتّى لا يصبح المال غايةً للمسلم، فهو وسيلةٌ نتعبّد بها إلى الله تعالى، ولذلك أُمِرْنا بإنفاقه باعتدالٍ من غير إفراطٍ ولا تفريطٍ:

" وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿67﴾ "

سورة الفرقان.

لكن الّذي يعبد المال وجمعه لا يمكن أن يؤدّي حقّ الله فيه، وتراه بسببه يخون، وبسببه يكذب، وبسببه قد يقتل، وقد يبيع مبادئه.

ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: (**تَعِسَ عَبْدُ الدّينار، تَعِسَ عَبْدُ الدّرهم، تَعِسَ عَبْدُ الخميصة، تَعِسَ عَبْدُ الخميلة، إن أُعْطِيَ رَضِيَ، وإن لم يُعْطَ سخط، تَعِسَ وانتكس، وإذا شِيكَ فلا انْتَقَشَ**).

تَعِسَ وانتكس، وإذا شِيكَ انْتَقَشَ: يعني انقلب على رأسه، وإن أصابته شوكةٌ لم يقدر على إخراجها.

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله: (**وهذه حال من إذا أصابه شرٌّ لم يخرج منه ولم يفلح، لكونه تَعِسَ وانتكس، فلا نال المطلوب، ولا خلص من المكروه، وهذا حال من عَبَدَ الدّينار**).

فمانع الزّكاة أورد نفسه المهالك، لأنّه أصبح عبدًا للمال، وكيف لم يورد نفسه المهالك والنّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – ذكر وعيدًا شديدًا لمانع الزّكاة، فقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – قال: (**ما من صاحب ذهبٍ و لا فضّةٍ لا يؤدّي منها حقّها، إلاّ إذا كان يوم القيامة، صُفِّحَتْ له صفائح من نارٍ، فَأُحْمِيَ عليها في نار جهنّم، فَيُكْوَى بها**

جَنْبُهَ وجبينه وظهره، كلّما بردت أُعِيدَتْ له، في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنةٍ، حتّى يُقْضَى بين العباد، فيرى سبيله إمّا إلى الجنّة وإمّا إلى النّار).

إخوتي الكرام،

لكم أن تتصوّروا رجلاً فَقَدَ عمله، كيف يعيل أبناءه؟، كيف يعيل بناته؟، الشّهر الأوّل يستدين، والشّهر الثّاني ماذا يفعل؟، فإذا زادت الدّيون تصوّروا حالته، أيسرق؟، أيشحت؟، هل يبيع شرفه؟.

ولذلك عليٌّ بن أبي طالب – رضي الله عنه – قال: **(لو كان الفقر رجلاً لقتلته).**

فقدان المال يتسبّب في الطّلاق بسبب النّفقة، ويتسبّب في تشرّد الأطفال، وانحراف الفتيات، ثمّ الوقوع في السّرقات والجرائم.

ولذلك فالغنيّ بدفعه الزّكاة يُصلح أُسَرًا، ويحافظ على تماسك المجتمع وعدم تشرّد الأبناء، ويحدّ من الجريمة والفسق والفساد في المجتمع، ولذلك هناك وعيدٌ شديدٌ لمن منع ماله عن النّاس.

روى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه – قال: { **قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – : (من آتاه الله مالاً، فلم يُؤَدِّ زكاته، مُثِّلَ له ماله يوم القيامة شُجَاعًا أقرع له زبيبتان، يُطَوَّقُهُ يوم القيامة، ثمّ يأخذ بِلِهْزِمَتَيْهِ يعني بِشِدْقَيْهِ، ثمّ يقول: [أنا مَالُكَ، أنا كَنْزُكَ])، ثمّ تلا:**

" وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (180) " سورة آل عمران }.

إخوتي الكرام،

حينما تكون النّفقة، كلّ شيءٍ يكون على ما يُرام، الزّوجة مطيعةٌ، الأولاد مهتمّون بدراستهم، هناك ثيابٌ، هناك طعامٌ، هناك نزهاتٌ، لكن إذا حصل فقرٌ طاعة الزّوجة تغيب، والأولاد إن لم يجدوا طعامًا ولا لباسًا تصوّروا معي ماذا يمكن أن يحصل من انحرافٍ بعد ذلك.

اعلم أنّ هناك بعض النّاس إيمانهم قويٌّ، لا الفقر ولا الغنى يغيّرهم، لكن الحديث عن مجموع النّاس هؤلاء يغيّرهم الفقر.

مرّةٌ جاء شخصٌ لِدَاعِيَةٍ فقال له: (**إنّ معملي لا أربح فيه شيئًا، وعندي من المال ما يكفي ذرّيّة ذرّيّتي، فأريد أن أغلق المعمل وأستريح**)،

فسأله الدّاعية: (**كم عاملٍ عندك؟**)،

قال: (**ثمانين**)،

فقال له الدّاعية: (**أنت تُطْعِمُ 80 أُسْرَةٍ يعيشون من هذا المعمل**)،

قال له: (**يكفيك أنّك سَتَرْتَ 80 أُسْرَةٍ، هذا أكبر ربحٍ، لقد منعت ثلاثمائة شابٍّ وشابّةٍ من الضّياع والإنحراف، الأرباح لا تُقَاسُ دائمًا بالأموال، أنت تساهم بإصلاح واطمئنان 80 أسرةٍ**).

هناك شبابًا في هذا المسجد يريد تحصين نفسه بالزّواج، ولكن لم يتمكّن لقلّة يده، أرأيتم كم تحلّ الزّكاة من مشاكلٍ، وتفرّج من كرباتٍ.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نعَمِهِ، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله،

معاشر الإخوة الكرام،

أَخْلِصْ النّيّة فيما تقوم به لله تعالى دون سواه، وأجرك عند الله يكون وفيرًا.

ثبت في الصّحيحين عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنّ رسول الله — صلّى الله عليه وسلّم — قال: { **قال رجلٌ: (لأتصدّقنّ بصدقةٍ)، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارقٍ، فأصبحوا يتحدّثون: (تُصُدِّقَ على سارقٍ!)، فقال: (اللّهمّ لك الحمد، لأتصدّقنّ بصدقةٍ)، فخرج بصدقته فوضعها في يدي زانيةٍ، فأصبحوا يتحدّثون: (تُصُدِّقَ اللّيلة على زانيةٍ!)، فقال: (اللّهمّ لك الحمد على زانيةٍ!، لأتصدّقنّ بصدقةٍ)، فخرج بصدقته فوضعها في يدي غنيٍّ، فأصبحوا يتحدّثون: (تُصُدِّقَ على غنيٍّ!)، فقال: (اللّهمّ لك الحمد على سارقٍ وزانيةٍ وعلى غنيٍّ!)، فَأُتِيَ فقيل له: (أمّا صدقتك على سارقٍ فلعلّه أن يستعفّ عن سرقته، وأمّا الزّانية فلعلّها أن تستعفّ عن زناها، وأمّا الغنيّ فلعلّه يَعْتَبِرُ فينفق ممّا أعطاه الله).**

والحديث فيه إشارةٌ أنّ من أسباب السّرقة وانتشارها امتناع أصحاب الأموال من رعاية المحتاجين، وأنّه من أسباب انتشار الزّنا امتناع أرباب الأموال من سدّ حاجات الأرامل والمطلّقات والمحتاجات.

والحديث يُطَمْئِنُ أصحاب الأموال أنّ أجرهم لا يضيع متى أحسنوا العمل وأخلصوا النّيّة لله تعالى.

والرّجل لإخلاصه خرج ليلاً متستّرًا عن أَعْيُنِ النّاس، لا ينتظر مدحًا ولا ثناءًا منهم، فهو خرج في غفلةٍ من النّاس، وبينما هو فارحٌ بنفسه فإذا بالأخبار تصله أنّ صدقته وقعت عند سارقٍ، فَرَاوَدَتْهُ مشاعر الخيبة والحسرة على عدم تحقّق مراده وضياع صدقته، إلاّ أنّه حمد الله ورضي بقدره، وعزم على تصحيح خطئه ويضع الصّدقة في موضعها، ولكنّها وقعت في يد زانيةٍ ثمّ غنيٍّ، ولكنّ رحمة الله الواسعة جاءته الرّؤيا تحيّي موقفه وتشيد بإخلاصه، وتبشّره بقبول صدقاته الثّلاث، وتكشف له البعد المخبوء للحكمة الإلهيّة من وقوع صدقته عند سارقٍ وعند زانيةٍ وغنيٍّ، وهذا جزاء المخلصين الصّادقين، أعمالهم مهما كانت لن تذهب هباءًا.

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت، وعافِنا فيمن عافيْت، وقِنا شرّ ما قضيْت،

اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـــنـــًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،

اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بِقَوْمٍ فِتنةً، فتَوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين،

اللّهمّ إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك، وحبّ كلّ عملٍ يُقرِّبنا إلى حبّك،

اللّهمّ اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيّامنا يوم لِقاك،

اللّهمّ لا تأخذنا على حين غِرّةٍ، ولا على حين غفلةٍ،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،

اللّهمّ انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، واخذُل ودمِّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،

اللّهمّ فرّج كربة المصريّين،

اللّهمّ فرّج كربة المصريّين،

اللّهمّ فرّج محنة السّوريّين،

اللّهمّ فرّج محنة السّوريّين،

إنّك على كلّ شيءٍ قديرٌ، وبالإجابة جديرٌ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إلــٰـه إلاّ أنت، نستغفرك ونتوب إليك.